

(٢٠)

الحضارة العربية الإسلامية في العصور الوسطى

ودورها في بناء الحضارة العالمية



حصاد (١٠)

ندوة

عقدها الإتحاد

بمقره في القاهرة

١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م

المحتويات

أ.د. غيثان بن علي بن جريس (*)

مخلاف جرش (عسير) في فجر الإسلام

أولاً : مقدمة

المخلاف (ويجمع على مخاليف) ويقصد به الناحية أو الإقليم ، وقد أورد ابن منظور كلمة مخلاف على أنها ناحية من نواحي الأرض، أو منطقة من المناطق، وقد يكون المخلاف صغيراً أو كبيراً حسب عدد المدن أو القرى أو العشائر والقبائل التي تسكنه[١]. والمخلاف ، أو الإقليم، أو الناحية، أو الكورة ، أو الرستاق، جميع هذه المسميات تعني منطقة معينة تشتمل على عدة مدن وقرى لها مميزات وخصائص اشتهرت بها . وتسمية مخلاف جرش في هذه الدراسة ، ليست من ابتكار الباحث ، وإنما ورد ذكرها بهذا الاسم في كتب الجغرافيين الأوائل ، ككتاب ابن خرداذبه ، واليعقوبي ، وقدامة ، وغيرهم من الذين ذكروا جرش بهذه التسمية، وجلهم عدها من المخاليف التابعة لولاية مكة المكرمة ، خلال القرون الإسلامية الأولى[٢]. وفي هذا البحث سوف نركز على سبب التسمية ، وعلي الموقع الجغرافي ، وعلى المجال التاريخي السياسي منه والحضاري خلال القرون الإسلامية المبكرة.

ثانياً : أصل التسمية لجرش:

أما عن التسمية باسم جرش، فقد ورد ذكرها في بعض المصادر التاريخية الأولى ، إذ يروى أن تبعاً أسعد أبا كرب، خرج غازياً من اليمن غزوته الأولى، وعندما وصل إلى بلاد جرش بأرض السراة ، رأى موضعاً قليل الأهل كثير الخيرات، فخلف فيه نفراً من قومه،

* أستاذ التاريخ بقسم العلوم الاجتماعية - جامعة الملك خالد.

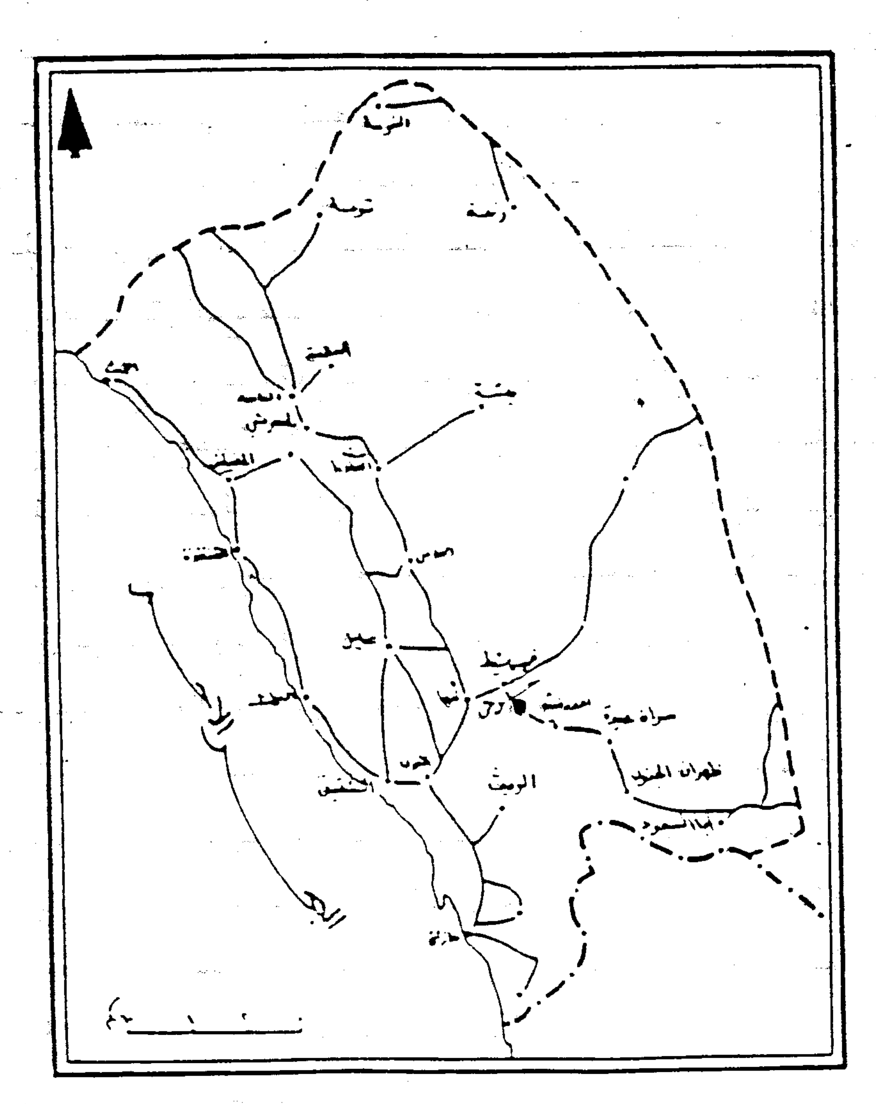
فقالوا : بم نعيش؟ فقال: اجترشوا من هذه الأرض، وأثيروها، واعمروها فمسيت جرش [٣].
وقد أورد ياقوت الحموى هذه القصة إلا أن قوله لايتفق مع الرواية السالفة الذكر على أن تبعا أسعد ترك بعض قومه عندما رأى كثرة الرخاء وقلة السكان، وإنما بعض من قومه تحيروا وضعفو عن اللحاق بالجيش، فقال لهم: اجرشوا هاهنا ، أى البثوا ، فسميت جرش بذلك [٤].
ويذكر البكرى أنها سميت بجرش بن أسلم ، لأنه أول من سكنها [٥]، ويتفق ياقوت الحموى مع البكرى، نقلاً عن أبى المنذر هشام، فيذكر أن جرش بن أسلم هو منبه بن أسلم بن زيد بن الغوث بن سعد بن عوف بن عدى بن مالك بن زيد بن سهل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن أيمن بن الهميسع بن حمير بن سبأ وهو أول من سكن جرش فسميت باسمه [٦]. ويعضد هذا القول بعض علماء النسب، كابن حزم الأندلسى، والوزير المغربى اللذان يؤكدان أن جرش أحد أبناء أسلم بن زيد الحميرى[٧]. ويورد ياقوت الحموى رأيًا آخر نقلاً عن أبى المنذر هشام بن الكلبى قوله : «جرش قبائل من أفناء الناس تجرشوا ، وكان الذى جرشهم رجل من حمير يُقال له زيد بن أسلم ، خرج بثور له، عليه حمل شعير فى يوم شديد الحر فشرد الثور، فطلبه فاشتد تعبه فحلف لئن ظفر به ليذبحنه ثم يجرش الشعير وليدعون على لحمه ، فأدركه بذات القصص عند قلعة جراش ، وكلُّ من أجابه وأكل معه يومئذ كان جرشيا »[٨]. ولم يذهب ياقوت بعيداً عن الرأى الذى قاله البكرى، نقلاً عن كتب النسب المبكرة، ولكن فى هذه الرواية لم يرد ذكر جرش، وإنما ورد باسم زيد بن أسلم ، بينما ورد فى الرواية السابقة باسم منبه بن أسلم، وبهذا لايكون ثمة فرق بينهما لأنه من المحتمل أن زيدا وأسلم هما اسمان لشخص واحد ، ثم بعد تمكنه من القبض على ثورة ووعدهم بجرش الشعير على لحم الثور، صار يطلق عليه اسم جرش [٩]، ثم نسبت البلاد التى حصل بها جرش الشعير وأكل لحم الثور إلي اسم جرش . ومما يؤكد هذا الرأى ، زن معاجم اللغة تؤكد على كلمة (الجرش) التى تشير إلي جرش الشئ ، بدقة فلاينعم الدق، وبالتالى يسمى ريشصا ، ويقال : جرش الملح والحب جرشًا ، أى لم ينعم طحنه ودقه ، وبهذا القول نرى أن زيدصا أو منبه بن أسلم ، جرش الشعير علىَ لحم ثوره فى منطقة جرش[١٠] ، ولهذا الشبب سميت المنطقة بهذا الاسم وربما كانت هذه الرواية أقرب إلى الصحة من رواية تبع أسعد، عن أولئك الذين تخلفوا عن مسايرة الجيش، فقال لهم : اجرشوا هاهنا ، أى البثوا، حيث لم نجد عند اللغويين من قال إن الجرش هو المقام أو المكوث فى مكان فيه ماء، ولكنهم قالوا: إن الجرش هو الصوت ، ويسمى الملح والحب بـ (الجرش) لأنه حك بعضه فصوّت حتى سحق ، غير أنه لايكون ناعما [١١] .

ثالثًا : التحديد الجغرافى لجرش :

أما عن موقع مخلاف جرش، فهناك العديد من المصادر الإسلامية المبكرة أشارت إلى موقع المخلاف ، غير أنها لم تكن تتوخى الدقة فى رسم هذا الإقليم، فبعض الجغرافيين المسلمين الأوائل كانوا يذكرون جرش عند ذكرهم للمحطات التجارية الواقعة على الطريق الموصل ما بين صنعاء ومكة المكرمة عبر الأجزاء الشرقية من بلاد السراة. ومعظم المصادر التى أشارت إلى تلك الطريق، ذكرت المحطات الواقعة إلى الشرق من جرش ، ابن خرداذبة والردريسى أشار إلى المحطات التى تربط مكة المكرمة بصنعاء ، وبعد ذكرهما لمحطة مدينة بيشة، استمرا فى تعداد المحطات صوب الجنوب حتى ذكرا محطة سروم راح الواقعة إلى الشرق من جرش على بعد ثمانية أميال [١٢]. أما أبو الفرج قدامة فلم يتفق مع ابن خرداذبة والإدريسى على أن سروم راح تبعد عن جرش المسافة المذكورة آنفًا ، علما بأنه لم يذكر المسافة بين البلدتين، لكنه أورد اسم محطة (كتنة) الواقعة إلى الشمال من محطتى سروم راح ، والثجه ، وأكد أن كتنة هى التى تبعد عن جرش بثمانية أميال [١٣]. وحسب الدراسات الحديثة أن حددت مركز جرش إلى الجنوب من مدينة خميس مشيط بحوالى خمسة عشر كيلو مترا ، على الطريق البرى الواصل بين مدينتى خميس مشيط ونجران[١٤] (انظر الخارطة رقم ١) . فهذا أمر يجعلنا نتوقف مُمعنى النظر فى أقوال الإدريسى، وابن خرداذبة ، لأن الطريق التجارى القادم من الأجزاء الشرقية لبلاد السراة، تبعد محطاته بعشرات الأميال عن مركز جرش، ثم إن المسافة بين محطة بيشة ، ومحطة سروم راح، تبلغ حوالى مائة وتسعة عشر ميلا حسب ما جاء فى كتاب (صفة جزيرة العرب) للهمدانى، وبين كتنة وبيشة حوالى ثلاثة وثمانين ميلا[١٥]، فليس من المعقول أن يكون البعد بين جرش والمحطتين ثمانية أميال فقط ، والمسافة فى وقتنا الحاضر بين جرش وبيشة حوالى مائة وخمسة وثمانين ميلا [١٦]، ولهذا فمن المحتمل، أن يكون الجغرافيون الأوائل قد ذكروا المسافة بين أطراف مخلاف جرش من جهة الشرق ، وبين تلك المحطات السالفة الذكر. والباحث يميل إلى هذا الرأى، لأن مخلاف جرش بجميع مدنه وقراه لايشمل منطقة خميس مشيط وما حولها فى وقتنا الحالى فحسب، بل يشمل أغلب إقليم عسير، وبخاصة الأجزاء السروية، وبالتالى فاسم جرش لم يكن يشتمل المدينة ، وإنما كان يطلق على أغلب بلاد عشائر قحطان وشهران وعسير [١٧]. وبهذا الامتداد، فإن القسم الشرقى من المخلاف ، ربما كان يبعد قليلاً ، وأحيانًا يشمل بعض محطات الطريق التجارى الواصل من صنعاء إلى مكة المكرمة، وإذا كان الأمر كذلك فإن أقوال الجغرافيين الأوائل ، ربما تكون قريبة من الصواب .

ومما يؤكد شموال التسمية على اتساع مخلاف جرش ، ما جاء في كتاب (صفة جزيرة العرب) للهمداني تحت عنوان (جرش وأحوازها) قوله : «... جرش هي كورة نجد العليا، وهي من ديار عنز بن وائل ، ويسكنها ويترأس فيها العواسج من أشراف حمير، وهم ولد يريم ذي مقار القيل، ولهم سؤدد، وإجابة اليمانية في أرض نجد إليهم .. وجرش في قاع ، ولها أشراف غربية بعبيدة منها، تنحدر مياهها في مسيل يمر في شرقيها ، بينها وبين حمومة ناصية تسمى الأكمة السوداء ، ويلتقي بهذا المسيل أودية ديار عنز حتى تصب في بيشة بعطان، فجرش رأس وادي بيشة، وتنحدة من أودية جرش وفيها أعناب وآبار ، وكتنة أول حد الحجاز وعرضها وعرض جرش واحد لأنها منها على خط الطول من المشرق إلى المغرب على مسافة أقل من يوم ...»[١٨].

خريطة رقم (١)



موقع مدينة جرش

وقد ذكر الهمدانى بعض أجزاء مخلاف جرش، فذكر أنها كورة نجد العليا، أى تقع فى الأجزاء الغربية من أطراف بلاد نجد، ولهذا المخلاف أطراف ونواح تجاه الغرب، ويقصد بذلك أطراف بلاد عسير العليا من جهة الغرب، كأبها وما حولها من النواحى [١٩]، ثم يذكر حمومة، ويقصد به جبل شكر الذى ما زال ماثلاً للعيان حول المدينة العسكرية بخميس مشيط من الناحية الشرقية، وقد أوردت حولية الآثار العربية السعودية ما نصه : وعلى بعد $\frac{٣}{٤}$ كم تقريباً إلى الشرق من جرش، هناك مرتفع جبل حمومة ...»[٢٠].

أما تندحة اليوم فهى عبارة عن واد فيه عدة قرى تقع على الطريق بين بيشة وخميس مشيط، وتبعد عن الخميس بحوالى ثمانية عشر كيلو متراً إلى الشرق منها، ويصب وادى تندحة فى بيشة[٢١].

وتسمى بعض المصادر الجغرافية والتاريخية جرش باسم مخلاف، فقدامة ذكر فى باب مستقل، سماه (مملكة الإسلام وأعمالها وارتفاعها)، وعند الحديث عن شبه الجزيرة العربية، خصوصاً الأجزاء الجنوبية من مكة المكرمة، والممتدة إلى مدن اليمن الكبرى، قال : «ولها أعمال تنسب إلى المخاليف والأعراض» وذكر جرش على أنها من المخاليف الواقعة فى تلك الأجزاء[٢٢]. أما اليعقوبى فى كتابه (البلدان) وتحت عنوان (من مكة إلى اليمن) فقد ذكر العديد من الأعمال والمخاليف ومن ضمنها جرش[٢٣]. وفى فصل مستقل لابن رسته سماه (الأقاليم السبعة، وأسماء مدنها المشهورة)، أورد فى الإقليم الأول العديد من المدن فى جنوب شبه الجزيرة العربية، وكانت جرش من ضمن المدن المذكورة[٢٤]. وأشار ابن خرداذبة إلى مخاليف مكة المكرمة، ذكر جرش على أنها من المخاليف التابعة لولاية مكة[٢٥]، وأشار الإدريسى إلى كل من نجران وجرش فقال : «هما مدينتان متقاربتان فى الكبر وبهما نخل وبهما مدابغ للجلود ...»[٢٦]. وأشار البكرى، وياقوت الحموى، وابن منظور إلى جرش فقالوا : «هو موضع باليمن»[٢٧]، ولكن ابن منظور زاد فى حديثه قائلاً : «... هو من مخاليف اليمن من جهة مكة، ويوجد فى الإقليم الأول، وهو مدينة عظيمة وولاية واسعة»[٢٨]. وبهذا تعتبر جرش، وهى قاعدة المخلاف، من أهم المراكز الحضارية الواقعة شمالى نجران وجنوبى مكة المكرمة.

وكان مركز هذا المخلاف المنطقة التى تشغلها المدينة العسكرية الآن فى خميس مشيط، وما يحيط بها، ولكن إذا كان المركز فى المنطقة المذكورة باعتبارها المقر السياسى والإدارى لولاة الرسول (ﷺ) ولولاة الخلفاء من بعده، ففى ظننا أن امتداد ذلك المركز كان يشمل أجزاء مختلفة من الجهات المحيطة به، بل ربما امتد نفوذ واليه- والى جرش- إلى نجران

جنوبيًا وبيشة شمالاً وشمال شرق وإلى تثليث وما حوله شرقًا وإلى قمم جبال السراة المطلة على الأجزاء التهامية غربًا ، ولو لم يكن مركز جرش قويا وذا نفوذ واسع لما حظى بواسع الذكر فى المصادر الأساسية ، وبالتالى طغى الجزء على الكل من منطلق إدارى سياسى.

رابعًا : الحياة السياسية فى مخلاف جرش :

كانت الأوضاع السياسية فى مخلاف جرش مثل غيره من الأماكن فى الجزيرة العربية، تتحكم فيه الأعراف القبلية والتقاليد والعادات ، وكانت بعض القبائل والعشائر تمتهن الغارات وتحترف الغزو. فلما أظهر الله الإسلام، وفد على الرسول (ﷺ) فى السنة العاشرة من الهجرة، وفد صرد بن عبدالله الأزدى فى بضعة عشر رجلاً، فأسلم وأسلم رجال الوفد، وأمّره الرسول (ﷺ) بعد إسلامه على قومه، وأمره بالجهاد بمن معه من المسلمين ضد من جاورهم فى جرش من المشركين (٢٩).

وتشير كتب التاريخ والسير إلى أن جرش كانت مدينة مسورة حصينة، فعندما سمع أهل جرش بإسلام صرد، وبما تم بينه وبين الرسول الكريم (ﷺ) سعوا إلى زيادة تحصين مدينتهم وانضمت إليهم بعض قبائل خثعم المجاورين لهم، لمقاومة صرد بن عبدالله الأزدى الذى عاد مسرعًا من المدينة المنورة مصطحبًا معه من انضم إلى الإسلام من قومه، وهاجم بهم مدينة جرش، فوجدها فى غاية المنعة والتحصين ، فحاصرها شهراً كاملاً ، ولما أعياه فتحها رأى أن اللجوء إلى الحيلة أجدى من الحصار ، فقوض خيامه كأنه راحل عنها وهو عازم على الخدعة ، وما أن شاهده المحاصرون راحلاً حتى فتحوا باب مدينتهم وخرجوا فى أثره ليستأصلوا شأفته فتظاهر أمامهم بالفرار . وعندما أخذوا فى مطاردته عطف عليهم فى التفافة بارعة ففتك بهم فتكًا ذريعًا (٣٠)، وتم له فتحها وبعد الفتح توجه وفد أهلها إلى الرسول (ﷺ) لإعلان إسلامهم أمامه، فرحب بهم ، وقال عليه السلام : «مرحبا بكم أحسن الناس وجوهًا ، وأصدقه لقاء ، وأطيبه كلامًا ، وأعظمه أمانة ، أنتم منى وأنا منكم» ثم جعل شعارهم مبرورًا (٣١)، وأمرهم بالعودة إلى ديارهم ، بعد أن حمى لهم حمى حول بلدتهم، ويورد محمد حميد الله ذلك الكتاب الذى كتبه الرسول (ﷺ) فى حمى جرش وينص على : «بسم الله الرحمن الرحيم. هذا كتاب من محمد النبى (ﷺ) لأهل جرش : أن لهم حماهم الذى أسلموا عليه، فمن رعاه بغير بساط أهله فماله سحت ، وأن زهير بن الحماطة فإن ابنه الذى كان فى خثعم ، فامسكوه فإنه عليهم ضامن ، وشهد عمر بن الخطاب ومعاوية ابن أبى سفيان »(٣٢).

وأهمية هذا الكتاب أن الرسول (ﷺ) أقرّ حمى أهل جرش الذى يحيط بمدينتهم، وذلك

بمنحهم حق الرعي والتملك في بلادهم، ووضع القوانين الشرعية التي تنظم العلاقات بين الأفراد في شؤون حياتهم المختلفة في ظل أحكام الشريعة الإسلامية[٣٣]. وفي رواية للبلاذري، نقلاً عن الزهري، تذكر أن أهل جرش أسلموا من غير قتال، فأمرهم رسول الله (ﷺ) على ما أسلموا عليه، وجعل على كل حالم من أهل الكتاب ديناراً، واشترط عليهم ضيافة المسلمين، وأرسل أبا سفيان بن حرب واليًا عليهم [٣٤].

وهذه الرواية التي ذكرها البلاذري لاتتفق مع الرواية التي ذكرتها كتب التاريخ والسير الأخرى، فرواية البلاذري تنفي أن أهل جرش اعتنقوا الإسلام بالسيف، في حين أن رواية ابن هشام، وابن سعد، والطبري، وابن قيّم الجوزية، وغيرهم تؤكد على حرب صرد بن عبدالله الأزدي لهم حتى دخلوا في الإسلام[٣٥]. ويمكننا القول إن ما رواه البلاذري يتفق إلى حد ما مع ما جاء عند أصحاب المصادر الأخرى، وخاصة أن الرسول (ﷺ) لم يرسل جيشاً معيناً من المدينة المنورة لمحاربة أهل جرش، وإنما تلك الحرب التي دار رحاها في بلاد جرش وما حولها، هي حرب جهاد قادها صرد بن عبدالله لكسر شوكة أعداء الدين الإسلامي في المنطقة.

أما إرسال أبي سفيان بن حرب إلى إمارة جرش، فقد جاءت بعد تولية الرسول (ﷺ) لصرد بن عبدالله على أهل جرش، مع العلم أن إمارة سفيان كانت مقصورة على جبي الصدقات، بدليل ما ذكر الطبري، أن أبا سفيان كان واليًا على الصدقات في تلك الأنحاء الممتدة من مخلاف جرش إلى نجران جنوبيًا، وإلى زبيد ورمع غربًا. أما الإمارة العامة على تلك الأجزاء فكانت لخالد بن سعيد بن العاص الذي كُلف بإمارة تلك النواحي في نهاية الحج للسنة العاشرة من الهجرة [٣٦]. وتذكر بعض كتب السنة نقلاً عن ابن عباس أن الرسول (ﷺ) كتب إلى أهل جرش ينهاهم أن يخلطوا الزبيب بالتمر [٣٧]، وهذا الخبر مفاده أن الرسول (ﷺ) كان على صلة تامة بأهل جرش، وبمعرفة أخبارهم، الأمر الذي أدى إلى نهيهم عمّا لايتفق مع الشريعة ودعوتهم إلى الامتناع عن القيام بما يُخالفها.

والملاحظ أن بعد موت الرسول (ﷺ) ومجئ الخليفة أبي بكر الصديق، وما حدث في عهده من أحداث عرفت في مصادر التاريخ بحروب الردة كان لأهل اليمن بما فيهم نجران ومخلاف جرش وما حولها دور في تلك الحروب، لاسيما بعد ظهور الأسود العنسي، الذي ظهر في أواخر عهد الرسول (ﷺ) والذي ارتد عن الإسلام وادعى النبوة، وبسط سلطانه على الكثير من المناطق، كصنعاء ونجران وجرش وغيرها، وطرد عمال الرسول (ﷺ) من تلك النواحي، وولى بدلهم ولاة من عنده، فكان من ولاته عمرو بن معدي كرب [٣٨]، أحد نوابه على المنطقة الواقعة ما بين نجران وبيشة، التي تعد ضمن مخلاف جرش [٣٩].

ومن المعروف أن الأمة العربية منيت عقب وفاة الرسول (ﷺ) وتولية أبى بكر الصديق الخلافة، باضطرابات خطيرة، ذلك أن بعض القبائل العربية التفت حول زعمائها الذين ادعوا النبوة، مثل الأسود العنسى المشار إليه وغيره ، وبدأ هؤلاء بدعوتهم للتخلص من نفوذ المدينة المنورة ، ومن ثم اندلع لهيب العصيان فى كل مكان ، فأخذ الخليفة أبوبكر على عاتقه أن يحارب أهل الردة، فطلب من ولاة مكة المكرمة والطائف مجابهة المرتدين فى بلاد تهامة والسراة الواقعة إلى الجنوب من مكة والطائف والممتدة إلى الحواضر الكبرى فى اليمن ولذا أعد عتاب بن أسيد عامل مكة المكرمة ، وعثمان بن أبى العاص عامل أبى بكر الصديق فى الطائف عدة حملات لمحاربة أولئك المرتدين . وقد وصل بعض تلك الحملات إلى مخلاف جرش، وانضمت إلى المسلمين هناك، ثم اشتبكت مع المرتدين فى تلك الديار، وتمكن المسلمون من هزيمة جيش المرتدين وكسر شوكتهم[٤٠]، وفرار أحد قادتهم ، حميضة بن النعمان البارقى[٤١] فارتجل عثمان بن أبى ربيعة شعراً فى هزيمتهم قائلاً -

فضضنا جمعهم والنقع كاب

وقد تعدى على الغدر الفتوق

وأبرق بارق لما التقينا

فعادت خلبا تلك البروق[٤٢]

وفى رواية للطبرى ، أن جرير بن عبدالله البجلى[٤٣] ، كان قد أرسل إلي بلاد السراة واليمن فى عهد الرسول (ﷺ) فذهب مع بعض قومه، ثم عاد إلى المدينة المنورة بعد موت الرسول (ﷺ) فأمره الخليفة أبوبكر الصديق بالرجوع إلى بلاد السراة ومحاربة المرتدين بها، وعندما جهز الخليفة أبوبكر الجيوش لمحاربة المرتدين أمر المهاجر ابن أمية بالتوجه صوب مكة المكرمة والطائف ، ثم التحرك جنوبًا إلى بلاد السراة حتى اليمن. وفى أرض السراة التقى المهاجر بن أمية بجرير بن عبدالله، ومن هناك واصل الرجلان سيرهما إلى بلاد مخلاف جرش، وعند منتصف الطريق التقى المهاجر ، الذى كانت له قيادة الجيوش، بعبد الرحمن بن أبى العاص، قائد الجيش بإمرة والى الطائف عثمان بن أبى العاص. وانضم لهذه الجيوش أيضًا عبدالله بن ثور من تهامة فواصل الجميع سيرهم عبر مخلاف جرش حتى قدموا على بلاد نجران وما والاها من بلاد اليمن [٤٤]. وبعد معارك كثيرة وصراع طويل تمكن القادة المسلمون من إحراز النصر، وتلا ذلك هزيمة المرتدين واستسلامهم فى النهاية الأمر الذى أدى إلى أن صار مخلاف جرش كغيره من بلاد تهامة والسراة جزءًا من أجزاء الخلافة الإسلامية فى عهد الخليفة أبى بكر الصديق[٤٥].

والملاحظ أن المصادر الإسلامية المبكرة لا تفصح عن الأحداث التى وقعت فى المخلاف، وإنما تشير إلى بعض الوقائع التى حدثت فى بعض أجزائه، ولكن إشارتها غير دقيقة إلى حد ما ، لا فى تسمية الأماكن، ولا فى دور الحواضر بشكل مفصل ، الأمر الذى لايروى ظمأ القارئ إلى معرفة الأوضاع السياسية والحضارية لهذه الأجزاء من المخلاف، وهو بدوره لا يشكل إلا جزءًا محدودا من المنطقة الجغرافية الواسعة والتى أطلق عليها بلاد السراة . وفى اعتقادى أن مخلاف جرش لم يتغير فى وضعه السياسى خلال القرنين الأولين لا سيما بعد الانتهاء من حروب الردة، ثم صار من الأجزاء التابعة للخلافة الإسلامية فى المدينة المنورة، إذ عيّن الخليفة أبوبكر عليه واليًا ينظم شؤون الناس [٤٦]، ولكن بعد انتقال الخلافة الإسلامية إلى دمشق أيام الأمويين ، ثم انتقالها إلى بغداد أيام العباسيين ، صار اهتمام الخليفة سواء فى دمشق أو بغداد ، أن يولى أمراء من قبله على المدن الكبرى فى شبه الجزيرة العربية، كمكة المكرمة ، أو المدينة، وربما جُمعت المدينتان تحت إمرة وال واحد، وأحيانا تجمع اليمامة والحجاز واليمن تحت إمرة وال من ولاة الخليفة تكون إقامته فى مكة المكرمة أو المدينة المنورة، يشرف على الجباة ومراقبة الأسواق، وحماية البضائع من السرقة ،وماعدا ذلك من الأعمال المتعلقة بشؤون جرش ومخلافها تترك لزعماء القبائل الذين يعدون المسؤولين- عرفيا- عن إدارة البلاد وتنظيم أمورها [٤٧].

ومنذ بداية القرن الثالث الهجرى ، بدأ الضعف يدب فى جسم الخلافة العباسية ، وبخاصة بعد الحرب الأهلية التى وقعت بين الأخوين الأمين والمأمون منذ عام (١٩٣-١٩٨هـ) الأمر الذى أدى إلى ظهور الخارجين والثائرين على الخلافة فى أجزاء عديدة من البلاد، فقام أهل جرش وأعلنوا انفصالهم عن ولاية الحجاز، وقام أمير من الحراميين فى حلى بن يعقوب بتهامة[٤٨].

واستقل ابن طرف بحكم مخلاف [٤٩]، وقامت فتنة فى بلاد عك والأشاعرة فى بعض الأجزاء من تهامة[٥٠]. وما إن انتهى الخليفة المأمون من أمر أخيه ، إلاّ والكثير من أجزاء مخاليف جرش، ونجران ، واليمن ، وبعض الأجزاء التهامية قد أعلنت ثورتها واستقلالها عن الخلافة، وعندئذ التفت فى جدية لتلك المناطق الجنوبية ، فبعث محمد بن زياد إلى حرب الأشاعرة، والعكيين فى تهامة، وكانوا أكثر الأطراف خطورة تجاه الخلافة فى تلك البلاد، وقال له :

«أسمعنى صوتهم»، أى يقاتلهم بقوة لاهوادة فيها، فوصل ابن زياد مزودا بالمال والرجال وأهل الرأى ، وتمكن من إخماد الأشاعرة وغيرهم، بل التنكيل بهم[٥١].

وتفرغ لسكان الجبال والمناطق التى أعلنت انفصالها عن الولايات التابعة لها، كبلاد جرش، ونجران ، وبيشة وما حولها ، فاستعمل الترغيب والترهيب ودعوة المنشقين إلى الوحدة، وعدم الخروج عن الجماعة ، والرجوع إلى طاعة الخليفة وتعهد بإرجاع كل منهم إلى إمارته، فوافقوا وعادوا إلى الولاء ثانية، وقاموا بإرسال الخراج، ولكن هذا الأمر لم يستمر ، فبعد موت محمد بن زياد ، جاء من بعده أمراء ضعاف فلم يستطيعوا إحكام القبضة على البلاد التى كانت فى حوزة الدولة الزيادية ، فقام كل أمير يستقل بناحيته ، أما مخلاف جرش وبلاد السراة الممتدة من شمال نجران حتى الطائف فقد بقيت شكليا أو اسميا مرتبطة بعامل الحجاز كما كانت سابقا (٥٢). وبعد القرن الثالث الهجرى لانجد ما يوضح لنا تاريخ جرش ومخلافها، وإنما بعض المصادر أشارت إلى أحداث سياسية حدثت فى بلاد اليمن أو بلاد تهامة أو السراة ، الواقعة إلى الجنوب من مدينتى الطائف ومكة المكرمة ، والتى اكتسبت صبغة العمومية، وأحيانًا نجد فيها شذرات تشير إلى تاريخ المدن الكبرى مثل : زبيد، وصعدة، وصنعاء ، وهذه المسميات لاتعطينا ما نريده من تاريخ جرش، ولاتبين لنا مدى مشاركة أهلها فى المضمار الحضارى للحواضر السابقة الذكر . والذى يبدو أن كتب الجغرافيا والرحلات تذكر جرش عندما تذكر الطريق المار بشرقها والواصل بين حواضر اليمن والحجاز.

ومن الجغرافيين الذين ربطوا ذكر جرش بذكر الطريق : ابن خرداذبة ، وقدامة ، والحربى، والهمدانى ، خلال القرنين الثالث والرابع للهجرة ، ثم الادريسى وابن المجاور ، وياقوت الحموى، فى القرنين السادس والسابع الهجريين ، وبعد القرن السابع لم نعد نستطيع العثور على ذكر لها فى ما توفر لدينا من مصادر، ولاندرى ، هل يعود عدم ذكرها إلى اندثارها ، وبالتالى لم يصبح لها دور فى التجارة مثلما كان لها من قبل ، ومنذ ذلك الوقت للآن، لم يعد لها الازدهار الذى كانت عليه، ولم تعد تعرف بمسماها السابق، وإنما تحولت إلى مسميات أخرى ، فصارت جزءًا من إقليم عسير الممتد من ظهران الجنوب جنوبًا إلى بلاد خثعم وشمران شمالاً ، وحل محل مركزها القديم مسميات حديثة تأتى ضمن مدينتى خميس مشيط وأحد رفيدة وما حولهما .

خامسًا : الجوانب الحضارية فى جرش ومخلافها :

من الطبيعى أن تحظى جرش ومخلافها بنشاطات مهنية متعددة، كالرعى والزراعة ، والصناعات ، والحرف اليدوية، والتجارية ، والازدهار العمرانى ، وذلك يعود إلى خصوبة تربتها وحسن موقعها . فمخلاف جرش يتمتع بطبيعته الجغرافية التى تتكون من الجبال

والوهاد والوديان، والهضاب والسهول إلى جانب طبيعته الاجتماعية التى تضم العديد من العشائر والأفخاذ الأزدية التى يحترف بعضها مهنة الرعى التى كانت من الملامح المميزة لأهل جرش مما جعلها المهنة الرئيسية بجانب الزراعة وبعض الحرف اليدوية الأخرى . وأقرب دليل على بروز هذه المهن فى حياتهم ما ذكره الرسول (ﷺ) فى كتابه الموجه إليهم، والذى حمى لهم حماهم الذى أسلموا عليه، والحمى لايوجد إلاّ إذا وجدت المواشى والبهائم التى ترعى فيه(٥٣). ويؤكد بعض الجغرافيين على كثرة الآدم ودباغة الجلود فى مخلاف جرش (٥٤)، وهذا دليل على كثرة المواشى والبهائم فى ربوعها، فإلى جانب ما يُستفاد منها فى قضاء حاجات الإنسان وتوفير غذائه ، تستخدم جلودها كألبسة وفراش بعد دباغتها، وقد يصدّر منها ما يفيض عن الحاجة إلى المناطق المجاورة لها .

أما الحياة الزراعية ، فمخلاف جرش نال نصيبًا من الزراعة ، ومما يؤكد ذلك قول بعض المؤلفين الأوائل الذين أشاروا إلى استخدام النوق الجرشية فى رفع المياه من الآبار لسقى المزارع بواسطة السوانى، وفى هذا يقول ابن أبى خازم:

تحدر ماء البئر عن جرشية

على جربة تعلو الدبار غروبها(٥٥)

ولم تكن الجمال فقط هى التى تستخدم فى رى المزارع عن طريق السوانى بل استخدمت الأبقار للغرض نفسه، كما استخدمت القنوات التى تعد خصيصاً لماء المطر لرى بعض المزارع العثرية(٥٦) .

ومن المنتجات الزراعية التى كان يشتهر بها مخلاف جرش، هى الحبوب كالقمح والشعير والذرة، وقد يفيض الإنتاج عن الحاجة فيصدّر إلى حواضر الحجاز واليمن(٥٧). أما منتوجات المخلاف من الثمار ، فتتمثل فى الزبيب والتمر والدليل على ذلك أن الرسول (ﷺ) قد نهى أهل جرش عن خلط الزبيب بالتمر (٥٨). ويعد العنب الجرشى من أجود أصناف العنب ، وقد أثنى على جودته المؤلفون الأوائل ، أمثال : الأصمعى فى كتابه : «النخل والكرم» فى أثناء حديثه عن أصناف العنب فقال : «فأما الجرشى فأبيض صغار الحب أول العنب إدراكا» (٥٩)، ويشير صاحب كتاب لسان العرب ، إلى العنب الجرشى فيقول : «ضرب من العنب أبيض إلى الخضرة ، رقيق صغير الحبة» (٦٠)، ويتفق البكرى والإدريسى مع ابن منظور والأصمعى على جودة عنب جرش (٦١)، ويشير الدينورى، فى كتاب (النبات) إلى جودة عنب مخلاف جرش ، وإلى طول عناقيده (٦٢)، وفى أجزاء عديدة من مخلاف جرش يوجد القرظ ، الذى يساعد كثيرًا

فى عملية دباغة الجلود، ويذكر عماد الدين أبو الفداء ، ما نصه : «وجرش بلدة صالحة وحولها من شجر القرظ ما لايحصى» (٦٣)، ويشير الإدريسى إلى كثرة زراعة النخيل فى بلاد جرش(٦٤).

أما المهن والحرف الصناعية بمخلاف جرش، فهى بدون شك متعددة، ولكن ما حفظته لنا المصادر المبكرة لايتجاوز إلا عدداً محدوداً من الصناعات، وكتاب الرسول (ﷺ) إليهم فى عدم خلط الزبيب مع التمر يدل على أنهم كانوا يجمعون هذين النوعين ثم يعصرونهما فيخرج لهم شراب النبيذ، أو نوع من أنواع الخمور، ولهذا فالرسول (ﷺ) نهاهم عن تلك المهنة(٦٥).

والثابت أيضاً أن دباغة الجلود وخرازتها فى جرش، ازدهرت ازدهاراً عظيماً ، فأشار أبو الفداء وابن المجاور إلى ذلك (٦٦). وساعدت عوامل كثيرة فى ازدهار هذه الصناعة فى تلك البلاد وما حولها ، وذلك من حيث توفر المواد الخام المتمثلة فى جلود المواشى ، ومواد التصنيع، بالإضافة إلى وفرة أشجار القرظ الذى يعتبر من أفضل المواد التى تستخدم فى الدباغة . هذا وتتمتع المنطقة بعوامل أخرى تساعد على جودة هذه الصناعة ، فالشمس الساطعة ، وطيب الهواء، وأشجار القرظ كما سبق القول، تساعد على ممارسة مهنة الدباغة ثم التجفيف والتسويق إلى الحواضر المجاورة(٦٧).

وهذه الجودة التى تمتعت بها الصناعة، ساعدت على شهرتها التى تجاوزت حدود شبه الجزيرة العربية ، حتى صار هذا النوع الجيد، والمعروف باسم (أدم جرش) مشتهراً فى الأسواق الخارجية مثل أسواق العراق وفارس وبلاد الشام وغيرها (٦٨).

ومن الصناعات الحربية التى اشتهر بها المخلاف صناعة الدبابات والمجانيق ، والعرادات. والدبابات التى كانوا يصنعونها هى عبارة عن آلة من مادة الخشب مغطاة بجلود البقر يدخل فيها الرجال ، ويقربونها من الحصن المحاصر لينقبوه، وهى تقيهم مما يرمى عليهم من حجارة(٦٩). أما المجانيق والعرادات فهى من آلات الحصار، التى ترمى بواسطتها الحجارة الثقيلة على الأسوار (٧٠).

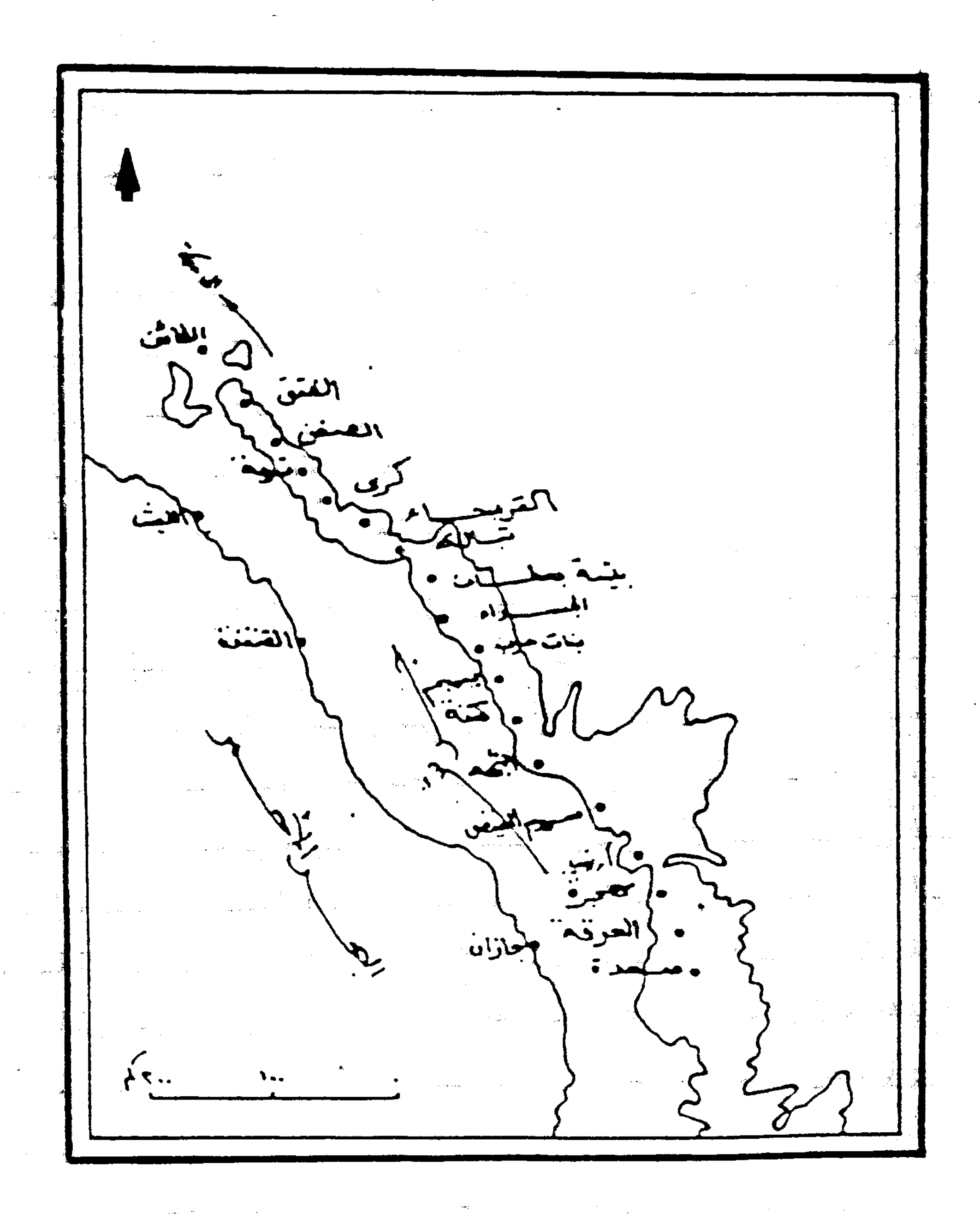
ويذكر أن الأغنياء من أهل مكة المكرمة والطائف وغيرهم من حواضر شبه الجزيرة العربية كانوا يذهبون إلى بلاد جرش ليتعلموا بعض الصناعات الحربية، قصد حماية أنفسهم وأموالهم، وممن ذهب إلى هناك أيام الرسول (ﷺ) عروة بن مسعود الثقفى، وغيلان بن سلمة اللذان سارا إلى جرش وأقاما فيها يتعلمان صناعة العرادات والدبابات فى أثناء محاصرة

الرسول (ﷺ) لمدينة الطائف[٧١]. وهذه الرواية وغيرها من الروايات تؤكد ما كانت تحتله جرش من مكانة مهنية، خاصة فى المهن الحربية.

ولم يكن النشاط التجارى أقل عن غيره من الأعمال الأخرى، ولولا نشاطها التجارى لما راجت فيها الصناعات ذات الإنتاج الحيوانى، والمنتجات والمحاصيل الزراعية التى كانت تفيض عن الحاجة، وتصدر إلى أسواق الحواضر الكبرى فى الحجاز واليمن، ومما زاد فى النشاط التجارى لمخلاف جرش قربه من الطريق التجارى الذى كان يأتى من صنعاء ماراً بشرق مخلاف جرش، حتى بيشة ثم الطائف ثم مكة المكرمة [٧٢]، (انظر الخارطة رقم٢) ومن المؤكد أن القوافل التجارية كانت تعرج على مخلاف جرش طلبًا للراحة والتزود من سلعها، كالمحاصيل والعنب، وبعض الصناعات الجلدية، وبعض المواشى كالإبل وغيرها، وهذه السلع جميعها متوفرة فى أسواق جرش ومخلافها .

وغالبية سكان جرش من القبائل اليمانية، إلى جانب وجود بعض العشائر والبطون الشامية، وفى إشارة للهمدانى ما يوضح ذلك ، فيقول : « ... وفي شق قرية جرش فرق من النزارية يدعون الجزارين من موالى قريش»[٧٣]، وهذا القول يشير إلى أن بعض العشائر الشامية، أو من يواليها ، كان يعيش مع السواد الأعظم من القبائل اليمانية فى تلك البلاد. بل إن بعضهم كان من موالى قريش ، وليس ببعيد أن تكون من بينهم طبقة من العبيد تمتهن الحرف والصناعات ، كعمل الدبابات والعرادات وغيرها ، لأنه من المألوف فى المهن والحرف الصناعية أن يتداولها مثل هؤلاء [٧٤]. وكان فى بلاد جرش بعض اليهود والنصارى، بدليل ما ذكره البلاذرى عن الرسول (ﷺ) أنه أمر أهل جرش على ديارهم ، وفرض على كل فرد من أهل الكتاب ممن بها دينارا[٧٥]، وهذا الخبر يبين أن بعضًا من اليهود والنصارى كان يعيش مع العرب فى مخلاف جرش. أما عن العادات والتقاليد والأعراف عند أهل جرش، فلم نستطع الحصول على ما يصور لنا هذه الحياة، ولكن أغلب الظن ، بعد دخولهم فى الإسلام، وإرسال الولاة إليهم من قبل الرسول الكريم، ثم الخلفاء الراشدين من بعده ، أن عادتهم ، وأعيادهم ، وولائمهم، وأعراسهم ، وبقية حفلاتهم وموائدهم صارت تمارس طبقًا لمنهج الدين الإسلامى[٧٦].

خريطة رقم (٢)



موقع مخلاف جرش من الطريق الجبلى ما بين الحجاز واليمن

أما العمارة عندهم فأصبحت تتفق وتعاليم الإسلام، وكانت مادة البناء هى الحجارة والطين ويعضـهم كان يعمل على تسوير البيوت، وتسوير المدن والقرى بأسوار تنتهى ببوابات واسعة ، ومثال ذلك أسوار مدينة جرش، التى وقفت أمام هجمات عبدالله بن صرد الأزدى وصحبه عند قدومه لفتحها ، أما عن البيوت هل تبنى من طابق أو أكثر ، وعن مدى ما يتمتع به البناءون من

المهارة فى البناء ، فلم نعثر على شئ من هذا فى المصادر التى بين أيدينا ، ولكن يمكننا القول أنهم طالما برعوا فى الصناعات الحربية ، وبعض المهن الحرفية الأخرى ، فليس بمستبعد أن يكون لديهم بعض الخبرات فى البناء بما يتناسب ومعارف الحال آنذاك.

سادساً : الخاتمة :

وخلاصة القول، أن مخلاف جرش عُرف منذ الفترة السابقة للإسلام ، وبعد أن أسلم أهله، تحول من أرض مشركة إلى أرض إسلامية، يشع منها نور الإسلام، ويعمل سكانها على تطبيق الشريعة ، وبعد موت الرسول (ﷺ) حدثت بعض الأمور فى شبه الجزيرة العربية ، أهمها حروب الردة، التى عمت أصقاع شبه الجزيرة ومن ضمنها مخلاف جرش، الذى أصابه أذى الارتداد بقيادة الأسود العنسى، وظهر به بعض المرتدين ممن اشتركوا فى حرب الردة مع العنسى، لكن الله حفظ دينه، لقوله جل جلاله وهو أصدق القائلين (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) .

لقد قام صحابة رسول الله (ﷺ) يتقدمهم الخليفة أبوبكر فى محاربة المرتدين ، وإجبارهم على العودة للإسلام ، وأصبحت الجزيرة بعد الانتهاء من حرب الردة تدين كلها بدين الله، وأصبح مخلاف جرش من الأعمال التابعة لدار الخلافة فى المدينة المنورة، ثم دمشق وبعدها فى بغداد، لكن لم يخل الأمر من ظهور بعض الفتن، وكان روادها يوبون الاستيلاء على الحكم، سواء من مخلاف جرش أو غيره، لكن دار الخلافة كانت لهم بالمرصاد .

إن مخلاف جرش منذ أواخر القرن الثالث الهجرى ، وبداية القرن الرابع ، لم يعد له وجود فى بطون المصادر المبكرة إلا إشارات بسيطة ، وبخاصة عند ذكر الطريق الذى يربط اليمن بالحجاز عبر الأجزاء الشرقية من بلاد السراة، والأغرب من ذلك أنه لم يعد له ذكر بعد القرن السابع الهجرى ، ولم يصلنا شئ عنه منذ بداية القرن الثامن عندما، اندرست مدينة جرش وأصبحت كما يُقال أثراً بعد عين .

وكون مخلاف جرش عاصر الأزمنة الأولى من دولة الإسلام بما حفلت به من أحداث تاريخية، وممارسات حضارية ، خاصة الصناعية والتجارية منها بسبب أهمية موقعه ما بين الحجاز واليمن فإن هذا المخلاف جدير بأن نبذل ما فى وسعنا فى البحث عن معالمه . وهذه العمل يقع على كاهل الأثريين والمؤرخين فى الدرجة الأولى.

الحواشي والتعليقات

١- انظر جمال الدين أبو الفضل بن منظور : لسان العرب ، تنسيق وتعليق على شيرى (بيروت : دار إحياء التراث العربى، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨م) ج٤ ، ص١٩١-١٩٢ .

٢- كان لمكة المكرمة العديد من المخاليف التابعة لها، سواء فى المنطقة الواقعة بين حاضرة مكة والمدينة المنورة، أو فى الأجزاء الواقعة إلى الجنوب من مكة المكرمة والممتدة إلى حواضر اليمن الكبرى ، ولمزيد من التوضيح انظر: أحمد بن أبى يعقوب اليعقوبى . كتاب البلدان، تحقيق أم. دى غوى (ليدن : مطبعة بريل ، ١٨٩١م) ص٣١٤-٣٢٠ (وهذا الكتاب ضمن الأعلاق النفيسة لابن رسته) ؛ أبو القاسم عبيدالله بن خردانبة . كتاب المسالك والممالك ، تحقيق ام. دى غوى (ليدن : مطبعة بريل ، ١٣٠٦هـ / ١٨٨٩م) ص١٣٣-١٣٩ .

٣- انظر : أبو محمد عبدالملك بن هشام : السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا وآخرين (بيروت : دار القلم ، د.ت) ص١٩-٢٠ : عبد الله بن عبد العزيز البكرى، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق، مصطفى السقا (بيروت : عالم الكتب، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م)، مج١ ، ج١ ص٣٧٦ .

٤- شهاب الدين ياقوت الحموى. معجم البلدان (بيروت : دار صادر وبيروت للنشر، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م) ج٢ ، ص١٢٦ .

٥- البكرى، مج١ ، ج١ ، ص٣٧٦ .

٦- ياقوت ، ج٢، ص١٢٦ .

٧- انظر : أبو محمد على بن أحمد بن حزم . جمهرة أنساب العرب، تحقيق : لجنة من العلماء (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م)، ص٤٣٦ ، ٤٧٨ : الحسين بن على بن الحسين الوزير المغربى، الإيناس فى علم الأنساب ، (الرياض : دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م) ص١٠٢، ١٢٩ .

٨- ياقوت ، ج٢، ص١٢٦ .

٩- وهذا يدل على الوفاء بالعهد، واحترامهم له، وربما أنه لايملك سوى هذا الثور، ومع هذا ضحى بقوام عيشه فى سبيل احترام وعده والوفاء به، ولعمرى إن هذا العمل من أنبل الصفات .

١٠- ابن منظور ، ج٢ ، ص٢٥٠ .

١١- المصدر نفسه.

١٢- ابن خردانبة ، ص١٣٣؛ محمد بن محمد عبد الله الإدريسى. كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق (بيروت : عالم الكتب، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م) ج١، ص١٤٤-١٤٩ ، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م) ج١ ، ص١٤٦ .

١٣- انظر . أبو الفرج قدامة. نبذ من كتاب الخراج ضمن كتاب المسالك والممالك لابن خرداذبة ، تحقيق، ام. دى غوى (ليدن: مطبعة بريل ، ١٣٠٦هـ / ١٩٨٩م) ص١٨٨-١٨٩ .

١٤- لمزيد من التفصيلات عن جرش فى بعض الدراسات الحديثة انظر: حمد الجاسر، فى سراة غامد وزهران ، نصوص مشاهدات ، انطباعات (الرياض : دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، ١٣٩١هـ / ١٩٧١م) ص٤٢-٤٩ ؛ محمد أحمد معبر . جرش من المراكز الحضارية القديمة خميس مشيط: دار جرش للنشر والتوزيع ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م) ص١٣ وما بعدها ، سعيد بن عياش . «مدينة جرش الأثرية وما يقربها من المواضع » مجلة العرب، ج٤ ، السنة السادسة، ١٣٩١هـ / ١٩٧١م) ص٢٤١-٢٤٨ .

١٥- انظر : الحسن بن أحمد الهمدانى. صفة جزيرة العرب، تحقيق ، محمد بن على الأكوع الحوالى (الرياض: دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م) ص٣٣٨-٣٤٠ .

١٦- معلومات مستقاة من مشاهدات الباحث.

١٧- وللمزيد من التفصيل عن أفخاذ وعشائر بلاد قحطان وشهران وعسير، وأماكن استيطانهم، انظر كتاب، هاشم سعيد النعمى. تاريخ عسير فى الماضى والحاضر، (د.م مؤسسة الطباعة والصحافة والنشر، د.ت) ، ص٦ وما بعدها .

١٨- الهمدانى ، ص٢٢٥-٢٥٦ .

١٩- وقبائل عسير الأساسية هى: بنومغيد وعلكم، وبنو مالك، وربيعة ، ورفيدة ، ولكن فى القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين توسع مفهوم اسم عسير حتى صار يشمل البلاد الواقعة بين غامد وزهران فى الشمال ، وظهران الجنوب فى الجهة الجنوبية ، وللمزيد من التوضيحات عن مسمى عسر قديمًا وحديثًا ، انظر . على أحمد عيسى عسيرى. عسير من ١٢٤٩هـ / ١٨٣٣م - ١٢٨٩هـ / ١٨٧٢م) أبها : نادى أبها الأدبى، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م) ص٢٣ وما بعدها ؛ غيثان بن على جريس . صفحات من تاريخ عسير: الجزء الأول. (جدة : مطابع البلاد للنشر، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م) ص٧-١٢ .

٢٠- انظر: مجلة أطلال الصادرة عن إدارة الآثار والمتاحف بوزارة المعارف (الرياض، عدد ٥)، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م) ص٢٥-٣٦ .

٢١- تنحة : عبارة عن مجموعة قرى تغطى مساحة من الوادى الكبير المسمى بالتنحى الذى تنحدر سيوله تجاه الشرق والشمال الشرقى حتى تصب فى وادى بيشة ، وتربة بلاد تنحة من أخصب الترب بفضل ما يمنحها واديها من الطمى، وفواكهها ولاسيما الرمان من ألذّ الفواكه لاعتدال جوها ، ومياها متوفرة قل أن تنضب ، ويقطنها من القبائل بعض عشائر قبيلة كود الشهرانية ، وتغطى حوالى نصف بلاد تنحة، ثم قبيلة آل الزّلال ، وقبيلة آل مستنير ، والمزارقة ، وبنى سامة، وآل عجير ، آل الذئب ، وكا هذه القبائل شهزانية ماعدا آل ستنير فمن رفيدة قحطان . مشاهدات الباحث فى بلاد

قحطان وشهران من (١٠-١٣ / ٥ / ١٤١٣هـ) .

٢٢- قدامة ، ص٢٣٤ .

٢٣- اليعقوبي ، ص٣١٧-٣١٨ .

٢٤- أبو علي أحمد بن عمر بن رسته . كتاب الأعلاق النفيسة ، تحقيق ، ام دي غوى (ليدن : مطبعة بريل، ١٨٩١م) ص٩٦ .

٢٥- ابن خرداذبة ، ص١٣٣ .

٢٦- الإدريسي، ج١ ، ص١٤٦ .

٢٧- انظر : البكري، مج١، ج١ ، ص٣٧٦ ، ياقوت ، ج٢ ، ص١٢٦ ، ابن منظور، ج٢، ص٢٥٠ .

٢٨- ابن منظور ، ج٢، ص٢٥٠ .

٢٩- للمزيد من التفصيلات عن صرد بن عبدالله الأزدي (رضي الله عنه) انظر: عز الدين بن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت) ج٣، ص١٧ .

٣٠- وللمزيد من التفصيل عن محاربة صرد بن عبدالله الأزدي لأهل جرش، ثم هزيمتهم، انظر : ابن هشام، ج٤ ، ص٢٣٣-٢٣٤ : محمد بن سعد ، الطبقات الكبرى (بيروت : دار صادر، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م) . ج١ ص٣٣٧-٣٣٨ ، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن القيم، زاد المعاد في هدى خير العباد، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرين (بيروت : مؤسسة الرسالة، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م) ج٣ ، ص٦٢٠-٦٢١ : محمد بن جرير الطبري. تاريخ الأمم والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، (بيروت : دار سويدان ، ١٣٨٢هـ / ١٩٦٢م) ج٣ ، ص١٣٠-١٣١ .

٣١- ابن سعد ، ج١ ، ص٣٣٨ .

٣٢- محمد حميد الله . مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة (بيروت : دار النفائس، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م) ص٢٨٩-٢٩٠ .

٣٣- ويتضح أن الرسول (ﷺ) حفظ لأهل جرش حماهم بقوله : «فمن رعاه بغير بساط أهله فماله سحت» ، أي فمن رعى حمى أهل جرش ، فلا ضامن على من أهلكه . وقوله عليه السلام : «وأن زهير بن الحماطة...» والمذكور أن ولد زهير ارتكب في خثعم أمرًا أوجب الضمان ، فضمنه زهير لهم، فأمر الرسول (ﷺ) بإمساك زهير أخذًا بضمانه لجريرة ابنه . انظر، محمد حميد الله، ص٢٨٩-٢٩٠ ، وعن الحمى وأهميته منذ بداية عصر الإسلام، انظر تفصيلات أكثر. صالح أحمد العلي «الحمى في القرن الأول الهجري» مجلة العرب، ج٧ (١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م) ، ص٣ وما بعدها .

٣٤- انظر، أحمد بن يحيى البلاذري . فتوح البلدان ، تحقيق رضوان محمد رضوان (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م) ص٧٠ .

٣٥- وللمزيد من التوضيحات ، انظر ابن هشام ، ج٤، ص٢٣٣- ٢٣٤ ؛ ابن سعد ، ج١ ، ص٣٣٧-٣٣٨: الطبري ، ج٣ ، ص١٣٠-١٣١ : ابن القيم ، ج٣ ص٦٢٠-٦٢١ .

٣٦- الطبرى ، ج٣ ، ص٢٢٨-٣١٨ . وإمارة صرد بن عبدالله ربما كانت مقصورة على مخلاف جرش، أما أبوسفيان بن حرب فكان عمله فقط جباية الزكاة من مخلاف جرش وما جاوره من المخاليف الأخرى، كذلك سعيد بن العاص كانت له الولاية العامة على جميع النواحي الممتدة من نجران جنوبًا إلى مدينة جرش وبيشة شمالاً .

٣٧- انظر: أحمد بن حنبل : مسند الإمام أحمد بن حنبل (بيروت : المكتب الإسلامي، ١٣٩٨ هـ) ج١ ، ص٢٢٤ .

٣٨- للمزيد من التفصيلات عن شخصية عمرو بن معدى كرب الزبيدى، انظر. عبدالله بن مسلم بن قتيبة. الشعر والشعراء ، تحقيق حسن تميم ومحمد عبد المنعم العريان (بيروت : دار إحياء العلوم، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م) ص٢٤٠-٢٤٢ ، ابن سعد ، ج١، ص٣٢٨ ، البلاذرى، ص١٢٦-١٢٧، ٢٧٨ .

٣٩- للمزيد عن ارتداد الأسود العنسى ، وعن المناطق التى سيطر عليها فى أثناء ارتداده، انظر: الطبرى، ج٣ ، ص٢٣٠ وما بعدها .

٤٠- وللمزيد من التوضيحات عن حركة المرتدين فى شبه الجزيرة العربية عامة، وفى بلاد تهامة والسراة خاصة، انظر: الطبرى، ج٣ ، ص٢٢٣ وما بعدها، عبد الوهاب النجار، الخلفاء الراشدون (بيروت: دار الفكر، د.ت) ص٤٦-٥٦ .

٤١- كان أغلبهم من قبائل الأزد وبجيلة وخثعم ، ولكن بعد هزيمة حميضة ومن ارتد معه، ثم تفريق جمعهم، عاد بعضهم إلى الإسلام، وفيما يظهر أن حميضة نفسه عاد إلى الإسلام، حيث نرى أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بعثه مع سعد بن أبي وقاص إلى العراق لمحاربة الفرس، انظر : الطبرى ، ج٣ ، ص٤٨٤ .

٤٢- الطبرى، ج٣ ، ص٣٢٠ .

٤٣- لمزيد من التوضيحات عن جرير بن عبدالله البجلى، موطنه الأصلى ، ثم مساهمته فى الدعوة الإسلامية، انظر : الطبرى ، ج٣ ، ص٣٦٥-٣٦٩ ، جمال الدين أبو الفرج . ابن الجوزى . صفة الصفوة ، تحقيق محمود فاخورى ومحمد رواس قلعجى (حلب : دار الوعى للنشر، ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م) ج١ ، ص٧٤٠-٧٤٢ ، ابن الأثير، ج١ ، ص٢٧٩-٢٨١ .

٤٤- انظر : الطبرى ، ج٣ ، ص٣٢٢ ، ٣٢٦-٣٢٨

٤٥- وللمزيد من الاطلاع على دراسات هامة تتعلق بتاريخ الواقعة إلى جنوب مكة المكرمة والطائف (تهامة وسراة) والممتدة إلى حواضر اليمن الكبرى، وخاصة فى العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة، انظر :

محمد بن أحمد العقيلي . تاريخ المخلاف السليماني (الرياض: منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م) ج١، ص٧١وما بعدها؛ وللمؤلف نفسه، التاريخ الأدبي لمنطقة جازان (جازان: نادي جازان الأدبي، ١٤١١هـ / ١٩٩٠م ج١، ص٢٥ وما بعدها ؛ أحمد بن عمر الزيلعي. الأوضاع السياسية والعلاقات الخارجية لمنطقة جازان (المخلاف السليماني) في العصور الإسلامية الوسيطة (الرياض : مطابع الفرزدق ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م) ص٢٥ وما بعدها، وللمؤلف نفسه، «المواقع الإسلامية المندثرة في وادي حلي (القرن٣-٩هـ/ ٩-١٥م) «حوليات كلية الآداب، جامعة الكويت، الحولية السابعة (١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م)، ص١١ وما بعدها : وللمؤلف نفسه» الأشراف الغوانم، أمراء المخلاف السليماني وعلاقتهم ببني رسول اليمن (٦٢٨هـ - ١٢٣٠م / ٨٠٣هـ-١٤٠١م) «مجلة العصور ، مج٦ ، ج٢ (١٤١١هـ / ١٩٩١م) ص٢٣١-٢٦٤، غيثان علي جريس . «بلاد بني شهر وبني عمرو خلال العصر الإسلامي الوسيط» مجلة العرب ، ج٩، ١ س (٢٧) (الربيعان ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م) ص٦٠٧-٦٢٣ : وللمؤلف نفسه . «بلاد السراة من خلال كتاب صفة جزيرة العرب للهمداني «مجلة الدارة. العدد الثالث السنة (١٩) (ربيع الآخر والجماديان / ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م) ص٧٦-١١٢ .

٤٦- تشير بعض المصادر إلى أن يعلى بن منبه كان واليًا على بلاد اليمن أثناء خلافة أبي بكر الصديق ، لكنها لم تشر إلى الحدود التي شملتها هذه الولاية، إلاّ أن من المؤكد وطبقًا لرواية بعض المصادر ، فإنها المنطقة الممتدة جنوبي مكة المكرمة والطائف ، والممتدة إلى حواضر اليمن الكبرى- وبهذا - فمخلاف جرش يأتي ضمن تلك الأجزاء المذكورة ، وربما كانت ليعلى بن منبه الولاية العامة على تلك المناطق المشار إليها، ومن الجائز أنه كان يستعين ببعض الموظفين والعمال وشيوخ القبائل الخاضعة ضمن إطار نفوذه الجغرافي في المنطقة. (وللمزيد من التفصيل عن الإدارة في الدولة الإسلامية، وإدارة الجزيرة العربية ونواحيها المختلفة ، انظر : حسام الدين السامرائي . المؤسسات الإدارية في الدولة العباسية خلال الفترة (٢٤٧- ٣٣٤هـ / ٨٦١- ٩٤٥م) (دمشق :دار الفتح ، ١٣٩٠هـ / ١٩٧١م) ص٢٠ وما بعدها : صالح أحمد العلي».

إدارة خراسان في العهود الإسلامية الأولى «مجلة كلية الآداب ، عدد (١٥) (١٩٧٢م) ص٣١١-٣٤٢ . وللمؤلف نفسه «إدارة الحجاز في العهود الإسلامية الأولى» مجلة الأبحاث ، سنة (٣١) مج١-٤ (١٩٦٨م) ص٣-٥٧ .

Jacob Lassner " Provincial Administration Under the Early Abbasid : The Ruling Family and the Amsir of Iraq . Studia Islamic . vol . 50 (1979) pp. 21-35 , J. Lassner "Provincical Administrion Under the Early Abbasid : Abu- Jafar al- mansur and the

Governore of the Haramayn " Studia Islamica, vol 49 (1979) pp. 39-54 , S.B Samadi. "Some Aspect of the theory of the State and Administration Under the Abbasids " Islamic Culture . vol . XXIX, No . 2 (1955) pp. 120-150 , Hugh Kennedy , " Centeral Government and Provincal Elites in the Early Abbasid Caliphate " Bulletin of the School of Oriental and African Studies. vol XLIV, (1981) pp. 26-38 ; Ghithan. A. Jrais " The Governorship in the Hijaz During The Early Abbasid Period (132-232 A. H. 1749-846) Ages (مجلة العصور) Vol . 7, Part . I (1992) pp. 13-21 .

٤٧- وبعد عصر الخلفاء الراشدين ، وفي زمن الأمويين والعباسيين، بعد انتقال مركز الخلافة إلى دمشق وبغداد ، اشتغل الخلفاء باستقطاب القلوب وتأليف النافرين ، ولم يعط خلفاء تلك العصور الجزيرة العربية الأهمية التي كانت عليها في أيام الرسول (ﷺ) وزمن الخلفاء الراشدين، رغم أنهم أولوا اهتمامهم بمناطق أخرى لها ظروفها المختلفة التي تستدعي ذلك الاهتمام، كالعراق وفارس، وبلاد الشام ومصر والمغرب والأندلس وأفريقيا . أما البلاد الممتدة من الحجاز جنوبًا إلى بلاد جرش فقط أنيط أمر الاهتمام بها إلى عمال مكة المكرمة (شكليًا) وترك أمر إدارتها الداخلية لأهلها شأنها في ذلك شأن كثير من مناطق شبه الجزيرة العربية. انظر ، صالح أحمد العلي «إدارة الحجاز...»، ص١٠ وما بعدها : غيثان علي جريس». مواقف خلفاء بني العباس الخيرية تجاه أهل الحجاز (١٣٢-٢٣٢هـ) مجلة المنهل (العدد ٤٩٧) مج٥٤ ، (١٤٣هـ/ ١٩٩٢م) ص٨٢-٨٨ . وللمزيد من تفصيلات أكثر، انظر ، المراجع الواردة في ملاحظة (٤٦) .

٤٨- لمزيد من التفصيل عن مدينة حلي بن يعقوب في تهامة ، ومن استوطنها خلال القرون الإسلامية المبكرة، انظر . الزيلعي «المواقع الإسلامية المندثرة في وادي حلي ..» ص١١ وما بعدها ، العقيلي تاريخ المخلاف ، ج١ ، ص٦٧ وما بعدها ، عاتق بن غيث البلادي. بين مكة واليمن (رحلات ومشاهدات) . (مكة المكرمة : دار مكة للطباعة والنشر ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م)، ص١٧٦-١٧٧، ٢٠٠ .

٤٩- سليمان بن طرف الحكمي ، من آل عبد الجد المشهورين بزعامة المخلاف السليماني، منذ ظهور الإسلام، ومنهم عبد الجد الوافد على الرسول (ﷺ) والذي أفرشه رداءه ،وقد سمي المخلاف باسم سليمان بن طرف الحكمي، ولازال يحمل المخلاف هذا الاسم إلى هذا الوقت، لمزيد من التفصيل ، انظر العقيلي. تاريخ المخلاف السليماني ، ج١ ، ص٧١ وما بعدها، الزيلعي، الأوضاع السياسية والعلاقات الخارجية لمنطقة جازان، ص١٢ وما بعدها .

٥٠- بلاد الأشاعرة في الأجزاء التهامية ، ويذكر أنها كانت من مخاليف مكة، وللمزيد من التوضيح انظر: الطبري، ج٣، ص٣٢٠-٣٢١، البكري، مج٢، ج٣

٥١- ولمزيد من التوضيح عن دولة بني زياد ومدى نفوذها ومواجهتها للفتن والثورات التي قامت في بلاد اليمن، انظر . عبد الواسع يحيى الواسعي. تاريخ اليمن، المسمى فرجة الهموم والحزن في حوادث

وتاريخ اليمن (صنعاء: الدار اليمنية للنشر والتوزيع ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م) ص١٦٠ وما بعدها ، العقيلي. التاريخ الأدبي لمنطقة جازان ، ج١ ، ص١٧-٢٠ .

٥٢- المصادر نفسها.

٥٣- انظر ، محمد حميد الله، ص٢٨٩-٢٩٠ ، انظر : صالح العلي «الحمى...» ص٣ وما بعدها .

٥٤- جمال الدين أبو الفتح يوسف بن المجاور. تاريخ المستبصر . تحقيق أوسكر لوفغرين (ليدن : مطبعة بريل، ١٩٥١م) ج١ ، ص١٣ ، ياقوت، ج٢ ، ص١٢٦ .

٥٥- ياقوت ، ج٢ ، ص١٢٦ ، ابن منظور ، ج٢ ، ص٢٥٠ . ويلاحظ أن النوق لازالت تستخدم في عصر السمسم في تهامة بلاد عسير إلى وقتنا الحالي.

٥٦- العثرية : المناطق الزراعية التي تعتمد في سقيها على الأمطار .

٥٧- وللمزيد من التفصيلات عن صادرات بلاد السراة، بما فيها مخلاف جرش، انظر:

الهمداني ، المصدر السابق، ص٢٥٥ وما بعدها ، محمد بن أحمد بن جبير. رحلة ابن جبير (بيروت : دار الكتاب اللبناني، د.ت) ص١٠٢-١٠٥ ، غيثان بن علي بن جريس «بلاد بني شهر وبني عمرو خلال العصر الإسلامي الوسيط»، ص٦٠٧-٦٢٣ .

٥٨- أحمد بن حنبل ، المسند، ج١، ص٢٢٤ ، محمد حميد الله، ص٢٩٠ .

٥٩- انظر، عبد الملك بن قريب الأصمعي. كتاب النخل والكرم ، نشرة الأب لويس شيخو اليسوعي (بيروت: المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، ١٩١٤م) ص٧٥ .

٦٠- ابن منظور ، ج٢ ، ص٢٥٠ ، جواد علي . المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (بيروت : دار العلم للملايين، ١٩٧٠) ج٧ ، ص٧٣ .

٦١- البكري ، مج١ ، ج١، ص٣٧٦ ، الإدريسي، ج١ ، ص١٤٦ .

٦٢- أحمد بن داود الدينوري. كتاب النبات ، القسم الثاني من القاموس النباتي، جمع محمد حميد الله (القاهرة: المعهد العلمي الفرنسي للآثار ، ١٩٧٣م) ص١٥٤-٢٣٩، ٢٤٥ ، انظر أيضاً ، اللسان لابن منظور، ج٢، ص. ٢٥٠ وقد يلاحظ المشاهد في بلاد عسير في وقتنا الحالي كثرة إنتاج العنب الفواكه والخضروات المتنوعة في أجزاء عديدة من المنطقة .

٦٣- عماد الدين إسماعيل أبو الفداء. كتاب تقويم البلدان (باريس: دار الطباعة السلطانية، ١٨٤٠م) ص٩٥ .

٦٤- الإدريسي ، ج١ ، ص١٤٦ .

٦٥- محمد حميد الله، ص٢٩٠ .

٦٦- أبو الفداء، ص٩٥، ابن المجاور، ج١، ص١٣ .

٦٧- للمزيد من التوضيحات عن طريقة دباغة الجود، والظروف المساعدة لمهنة الدباغة ، انظر : أحمد بن داود الدينوري. كتاب النبات، الجزء الثالث، والنصف الأول من الجزء الخامس، تحقيق، بي لوين (فيسبادن، د.ن، ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م) ص١٠٤-١٢١ ، أحمد فاروق ». دباغة الجلود وتجارتها عند العرب في مستهل الإسلام» مجلة العرب، ج٧، ٨ (١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م) ص٥٣٨-٥٥٥، أحمد عمر الزيلعي ، مكة وعلاقاتها الخارجية (٣٠١-٤٧٨هـ) (الرياض: عمادة شؤون المكتبات، جامعة الرياض، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م) ص١٨٩ .

٦٨- انظر : ياقوت ، ج٢ ، ص١٢٦ ، جواد علي، ج٧ ، ص٥٨٧، الزيلعي، مكة وعلاقاتها الخارجية ، ص١٨٩- ٩١ .

٦٩- ابن منظور، ج٤ ، ص٧٧ .

٧٠- المصدر نفسه، ج٩ ، ص١٢٣ .

٧١- ابن هشام ، ج٤، ص٢ ، الطبري، ج ، ص٨١-٨٢ .

٧- لمزيد من المعرفة عن محطات الطريق التجاري الذي يربط الحجاز باليمن ، ويأتي من شرق بلاد جرش، انظر . ابن خرداذبة ، ص١٣٤-١٣٦ ، قدام، ص١٨٧-١٩٠، الإدريسي، ج١ ، ص١٤٤-١٤٩ .

٧٣- الهمداني ، ص٢٥٥ .

٧٤- كان العرب ولازال بعضهم ينظر إلى المهن والحرف الصناعية (كالحدادة، والصياغة، والنجارة وغيرها) نظرة ازدراء ، ثم إن السواد الأعظم من العاملين فيها كانوا من الموالي والعبيد، أو من اليهود والنصارى. وللمزيد من التفصيلات عن وضع الحرف عند العرب والمسلمين خلال العصور المختلفة، انظر : جواد علي، ج٧ ، ص٥٤٣ وما بعدها ، عبد العزيز إبراهيم العُمري. الحرف والصناعات في الحجاز في عصر الرسول (ﷺ) (الدوحة : مركز التراث الشعبي، ١٩٨٥م) ص٤٢-٤٦ ، غيثان بن علي بن جريس «أهم الحرف والصناعات في الحجاز خلال القرون الإسلامية المبكرة» مجلة المنهل، العدد (٤٩٢) مج٥٣ (١٤١٢هـ / ١٩٩١م) ، ص٨-٩٦ .

٧٥- البلاذري ، ص١٧٠ .

٧٦- وللمزيد من التفصيلات عن بعض النواحي الاجتماعية في بعض من أجزاء العالم الإسلامي خلال العهود الإسلامية الأولى، انظر. عبد الله محمد السيف . الحياة الاقتصادية والاجتماعية في نجد والحجاز في العصر الأموي (بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م) .

M.M. Ahsan . Social Life Under the Abbasids (London : Longman, 1979); G.A. Jrais . The Social Industrial, and Commercial History of the Hegaz Under the Early Abbasids (132-232- A. H. / 749-847 A.D), Unpublished ph. D. thesis University of Manchester, England , (989) .